لما وقع به في ظاهر الامر لا في باطنه اذ الانبياء عليهم الصلاة والسلام اوفى من وفى بما وعد
وقوله في الحديث فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته لا ينافي ما ذكرناه
لان الجحود والنسيان الذي وقع صورة انما كان على تأويل منه واختلاف العلماء في العلل
لا يقدح في فهم كلامهم بعد ان اتفقوا على الاحكام بهذا هو اللائق بمقام ابينا آدم عليه الصلاة
والسلام ومن قال غير ذلك فهو تحت عهدة قوله حتى يخرج منه بين يدي الله عز وجل
انتهى وهو كلام يحتاج بعضه الى تحرير في عدة امور من اظهرها انه لا يلزم من علم آدم بالاسما
علمه بالمسميات على ما اي عليه من العقاب اللائق بها وبتقدير انا يلزم علمه بالمسميات ايضا فلا
ينهض الاحتياج بكون ذلك زاجرا لآدم عليه الصلاة والسلام حتى ترتب عليه ان
فعلته صلى الله عليه وسلم كانت على علم وشهود بعد ان سمعنا قوله تعالى ولقد عهدنا الى آدم
من قبل فنسي وبتقدير ان تنزل ونحمل قوله تعالى فنسي على انه فعل فعل من نسي لا انه
نسي حقيقة كما قيل بنحو ذلك في قوله تعالى في حق افضل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وتخشى
الناس والله احق ان تخشاه وفي نحو قوله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي
لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك فلا يمكن ان يحمل ابليس على انه من خواص
الملا حضرته كما هو معصية لان ذلك يودي الى اعتقاد سعادته وفي ذلك ما لا يخفى
جزاء اختياريا وما جعل العلما للعبد جزءا احتياطا الا ليفتح له باب الندم والحزن اذا وقع في المخالفات
مع انه لولا شهود ان له مدخلا واختيارا في تلك المعصية ما ندم لان احدا لا يندم
قط على فعل ليس هو فعله فقصد العلما بذلك منع العبد ان يحتج بالارادة والجبر ويقول
ليس الفعل لي حتى اندم عليه فيسي الادب مع الله ويتطرق من ذلك بطلان الحدود
القائمة في الوجود كلها فلا ينسب الى احد من المخلوقين فعل ويصير خطاب الحق تعالى
لعباده بالامر والنهي مباينة للحس ولم يكن يوثق بالحس في شي فرضي الله تعالى عن
العلما ما اكثر شفقتهم على الخلق وما اشد حرصهم على فعل ما يقرب العباد الى الله تعالى
وقد رأيت مرة لوحا نزل من الجو معلقا بسلسلة من فضة وهو من زبرجد
مكتوب فيه بخط عربي واضح اعلم ان حكم هولاء الخلائق حكم الطينة المعجنة من سائر الاجرام

والطعوم

والطعوم والروايح والخفة والثقل والحلاوة والحموضة والمرارة والملوحة والكرم والبخل والشجاعة
والجبن ولذلك تداولت عليهم الاحوال بحسب طينتهم فما تراه متفرقا في الاكوان كلها هو فيك
يا ابن آدم لان الطينة اذا عجنت مما ذكرنا ومما لم نذكر حتى صارت روحا واحدة يقضي العقل
بان في ذلك ذرة منها اذ لو فرقت مجموع ما في غيرها وما خرج عن حكم هذه الطينة سوى الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فان الله قد طهر طينتهم من سائر الرذائل بسابق العناية لا بعمل عملوه ولا بخير
قدموه بل بمحض اصطفاء وتقريب لهم واما غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم باقون على
اوصاف تلك الطينة فتارة تجد احدهم كريما وتارة بخيلا وتارة شجاعا وتارة جبانا وتارة مطيعا
وتارة عاصيا وهكذا فتداولت عليهم الاحوال الردية وغيرها بخلاف الانبياء عليهم الصلاة
والسلام اخلاقهم كلها مرضية رفيعة حسنة فما دامت العناية تحف ذلك الولي مثلا فاذا
تخلفت عنه العناية تحركت الاعمال السيئة والاخلاق الردية للاستعمال وخمدت تلك الاخلاق
الحسنة ويقول الناس عند خمود الصفات الحسنة في عبد وقيام الاخلاق السيئة نعوذ بالله
من شر ما رأينا وانظروا هذا الظلام الذي على وجهه ويقولون عند خمود الصفات الردية
وقيام الصفات الحسنة شي لله المدد وانظروا الى هذا النور الذي على وجهه ونحو ذلك فخر العلما
من الاولياء يما في الادنى وعكسه ومن هنا كانوا محفوظين لا معصومين فافهموا ايها الجماعة
هذا المحل وتأملوه فانكم لا تجدونه في كتاب من كتبكم ولا من كتب الانس وقد علمتم بهذا البيان وتحققتم
ان ما عدا الانبيا عليهم الصلاة والسلام من سائر العبيد اسير بين حكم الارادة المجردة عن
امتثال الامر وبين الامر التابع للارادة وان الارادة ان ارادت للعبد امتثال الامر امتثله
لا محالة ويسمى طائعا ظاهرا وباطنا لان الامر وافق الارادة وان ارادت الارادة للعبد عدم
امتثال الامر لم يقدر على امتثاله ويسمى عاصيا للامر مطيعا للارادة وانشدوا

فمن عصى الله قد وفى حقيقته • ومن اطاع فقد وفى طريقته • فما ثم الا مسي مطيع فمن لم يطع
الامر اطاع الارادة لكن الحق تعالى لم يجعل السعادة الا في امتثال الامر ومنعنا الاحتجاج بالارادة
ولم يقبلها منا كما قال عباد الاوثان لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شي نحن ولا آباؤنا ولم
يقبل الحق ذلك منهم لانه حق اريد به باطل ومن هنا قال علماؤنا نؤمن بالقدر ولا نحتج به فانهم

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)